رسائل الهدى

3 سلسلة القرآن الكريم وعلومه

شروط الانتفاع بالقرآن الكريم

الدكتور الشاهد البوشيخي

منشورات الحجة

فضيلة الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي

- * من مواليد 1945.
- * حفظ القرآن الكريم وبعض المتون في الكُتَّاب
- * درس بجامع القرويين بين 1957-1964
- * تخرج من مدرسة المعلمين سنة 1965
- * تخرج من كلية الآداب والمدرسة العليا للأساتذة سنة 1968.
- * يعمل أستاذا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز/فاس منذ 1969 حتى الآن.
- * عمل أستاذا للدراسات العليا بجامعة محمد الخامس بالرباط (سلك تكوين مكونين والسلك الثالث) وجامعة محمد الأول بوجدة (السلك الثالث).
- * له مؤلفات متعددة ومحاضرات كثيرة ومشاركات في ندوات علمية محلية ودولية.
- * عضو اتحاد كتاب المغرب
- * عضو رابطة علماء المغرب
- * عضو سابق بمجلس امناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- * خبير بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو).
- * مدير معهد الدراسات المصطلحية بفاس.

إنه يجب وجوبا عينيا على الأفراد، وعلى الأسر، وعلى الشعوب ، وعلى الحكومات، في هذه الأمة الإسلامية أن يتوبوا إلى الله عز وجل فيعمموا قراءة القرآن، ويجاهدوا بكل ما آتاهم الله عز وجل ليصير ذلك واقعا ، وأن يجاهدوا جميعا لجعل هذا القرآن مفهوما، ويوفروا كل الشروط اللازمة لفهمه، ولا سيما للجيل الصاعد الذي سيخلفنا، وسيواجه ما هو أدهى مما نواجه، ويجاهدوا لجعل هذا الجيل الصاعد نابتا في الإيمان بإنزال ماء القرآن عليه حتى يرتوي، و يجاهدوا لجعل أنفسهم، وجعل كل من حولهم، متبعين للقرآن، فلا يصدر عنهم شيء إلا و هو موزون بالقرآن؛ التفكير يوزن بالقرآن، و التعبير يوزن بالقرآن، والأعمال توزن بالقرآن، والمشاريع توزن بالقرآن، والمؤسسات تؤسس على أساس القرآن.

هذا هو الأصل، وهذا هو المطلوب، وهذا هو الواجب، وإلا تفعله الأمة، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، أكبر مما نحن فيه.

مطبعة أنفو-برينت
Imp. Info-Print
Tél / Fax : 055 64.17.26 - Fès

الثمن 7 دراهم

شروط الانتفاع بالقرآن الكريم

الدكتور الشاهد البوشيخي

منشورات المحجة

۞ شروط الانتفاع بالقرآن الكريم

۞ محاضرة للدكتور الشاهد البوشيخي
۞ أشرف على طبعها : محمد البنعيادي
۞ الطبعة الأولى : رمضان 1422 / نونبر 2001
۞ منشورات جريدة المحجة
۞ رقم الإيداع القانوني 2001/ 1619
۞ مطبعة آنفو- برانت 12 شارع القادسية الليدو – فاس.
الهاتف : 055 64 17 26

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ۞ الرحمن الرحيم ۞
ملك يوم الدين ۞ إياك نعبد وإياك
نستعين ۞ إهدنا الصراط المستقيم ۞ صراط
الذين أنعمت عليهم ۞ غير المغضوب
عليهم ولا الضالين

آمين

سورة الفاتحة

قال الله عز وجل:

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ
نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ
مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾

سورة الأنعام: 123

« حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ قَالَ إِسْحَاقُ وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيَّلَتِ الْمَاءَ قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ ».

(رواه البخاري، كتاب العلم، رقم:79 - و روى نحوه مسلم في كتاب الفضائل حديث 2282).

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده تعالى و نستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدي نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فهذه هي الرسالة الثالثة في سلسلة :«رسائل الهدى» بعنوان: «شروط الانتفاع بالقرآن الكريم». جاءت بعد الرسالة الأولى: «القرآن الكريم طبيعته ووظيفته» والرسالة الثانية: «القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية»، لتمثل الدواء الكافي والجواب الشافي عن السؤال المزمن:

إذا كان القرآن نورا وروحا، فلماذا نرى الأمة عمياء، يقودها العمي التالفون الشاردون؟؟ وشبهَ ميتة، يجرها الأموات إلى مصارعها؟؟!!

الجواب هو أن الأمة –في عصر الاحتلال الفكري والعلمي والثقافي والموت الروحي– لم تحقق في نفسها وواقعها شروط الانتفاع بالقرآن الكريم، وإنما حققت –للأسف– عكس ذلك من:

هجران للقرآن حفظا وقراءة وتلاوة ودراسة وفهما، واستنباطا من كليات نصوصه و مقاصده مايغني المسلمين في كافة مجالات الحياة.

وهجران للغة العربية بمختلف علومها، مع أنه لا يتسنى الفهم الصحيح للخطاب الرباني الأخير للبشرية جمعاء إلا من خلال تذوق اللغة العربية، وفهم أسرارها ودقائقها المبثوثة في كل كلمة من كلماتها، وفي كل أسلوب من أساليبها، بل وفي كل حرف من حروفها؟؟!

إن القرآن الكريم نزل باللغة العربية متضمنا هديا خاصا، وتوجيها خاصا، يتنافى تماما مع الأهواء البشرية، ولا

يمكن فهم الهدى القرآني بدون تمثل الإيمان الكفيل بالتلقي الصحيح، والتفاعل المنهض، ولا بدون العلم اليقيني بالهادي سبحانه وسعة رحمته، وعظم قوته وقدرته ومغفرته، وبدون العلم اليقيني بضآلة غيره من الشركاء والأنداد الذين أضلوا البشر ومازالوا يضلونهم ويدمرونهم.

إن أقبح ما ابتليت به الأمة أنها أضاعت مصابيح هداها، ومصادر أنوارها، فأصبحت تستجدي ذبالات الأضواء في ليالي الكفر البهيم، وظلام النفاق العميل، ولا علاج لها إلا بتحقيق الشروط الموضوعية للانتفاع بالقرآن الكريم، انتفاعا ينتشلها من الوهدة التي انحدرت إليها، ويحقق بها وعلى يديها إنقاذ الإنسانية من الشقاء الذي تردت فيه بسبب انحرافها عن هدى الله تعالى، الذي تضمنه كتاب الله عز وجل.

وفي هذه الرسالة الثالثة الجواب الشافي، والتوضيح الكافي –بإذن الله تعالى– لمن أراد أن يضع رجله في بداية طريق السير على المنهج السوي لفهم كتاب الله تعالى، والانتفاع به، والنفع به، والاستظلال بهداه، فالرسالة

توضيح لمعالم الطريق الكبرى، واستجلاء للمنائر المضيئة، والدلائل الهادية.

نسأل الله تعالى أن يجازي أخانا وأستاذنا الدكتور الشاهد البوشيخي خيرما جازى به عباده الصالحين، وأن يبوئه مقام العلماء العاملين المنتفعين بالقرآن الكريم والنافعين به في الدنيا ويوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما نسأل الله تعالى أن يرزق هذه الرسالة القبول عنده وبين عباده، ويجعل أجرها ذخرا لصاحبها ولكل من أسهم في إخراجها، ولكل القراء الكرام.

آمين، يا رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

المفضل فلواتي

مدير جريدة المحجة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علما. ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وهيء لنا من أمرنا رشدا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب، اللهم افتح لنا أبواب الرحمة، وانطقنا بالحكمة، واجعلنا من الراشدين فضلا منك ونعمة.

أيها الأحبة، نحمد الله سبحانه وتعالى الذي جمعنا على مائدة كتابه ونعمت المائدة هي؛ طعامها شهي وما فيها لا ينفد، أكل منها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتضلع منها الحبيب محمد ﷺ، وتضلع منها الصحابة الكرام، وتملأ منها العلماء الأبرار الأخيار، في مختلف الأمصار والأعصار.

نحمد الله سبحانه وتعالى الذي جمعنا على مائدة القرآن، وجعلنا من أمة القرآن، وشغلنا بفضله وكرمه بعلم القرآن. فاللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين يعملون به في الدنيا .

عظم شأن القرآن

قال الله تعالى منوها بشأن هذا القرآن: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الحشر الآية 31) وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ (سورة الرعد الآية 32) فشأنه عظيم عند الله سبحانه وتعالى ، ولذلك قال الحبيب محمد ﷺ في الحديث الصحيح: « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** »(صحيح البخاري، كتاب:فضائل القرآن، رقم:5027) وقال ﷺ : « **إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين** »(صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافر وقصرها، رقم:817).وقد رفع الله به شأن من رفع رايته أول مرة ، فكانوا النخبة المصطفاة التي صُنعت على عين الله عز وجل؛ألقى عليها محبة منه، وصنعها على عينه ، واصطنعها لنفسه، ففعلت في التاريخ ما فعلت، مما

يعلمه القاصي والداني ؛كيف كان حال الإنسان في الجزيرة العربية يوم نزل هذا الكتاب ؟ كيف كان حال الإنسان أفرادا وجماعات ؟ وكيف صار بالقرآن في فترات قصيرة جدا ؟ كيف صار بالقرآن في مستوى القيادة والريادة ، وفي مستوى عال من النضج والرشد ؟

إن كتاب الله عز وجل فيه خواص وخصوصيات تجعله بإذن الله عز وجل _حين يستقر في قلب الكائن البشري _ يجعل منه إنسانا غير عادي ، يفجر طاقاته تفجيرا ، ليكون خيرا وبركة على نفسه وعلى الناس من حوله ، بل على البشرية جمعاء ؛ هذا عمر بن الخطاب ؓ مثلا ، ماذا كان قبل الإسلام؟ رجل عادي بين الناس يرعى الإبل ، ثم صار بالقرآن أمير المومنين ، إماما عظيما ؛ داهية في السياسة ، داهية في الحكم، داهية في تدبير شؤون الناس ، داهية في استيعاب المجموعات البشرية الداخلة في دين الله أفواجا عبر الفتوحات في زمنه . بم صار ذلك الإنسان كذلك؟ هل بشيء آخر غير القرآن؟ كلا ثم كلا . إن الذي صنع من تلك النماذج البشرية العادية في أصلها، نماذج عالية رفيعة ، إنما هو كتاب الله عز وجل. وهو في كل وقت، وفي كل عصر، وفي كل مصر، مؤهل لأن يصنع

مثل تلك النماذج من جديد، لكن بشروط في تلقي هذا الكتاب، وبشروط في حمله. وحين يستوفي الناس أفرادا وجماعات هذه الشروط ، فإن الخير والبركة تتنزل ، ويكون خير عظيم في تلك الأمصار في كل الأعصار.

وما أحوجنا اليوم إلى تبيُّن هذا الأمر ، وإلى أن نهتم بهذا الكتاب ، لنستطيع في ظل الواقع المحدق بالأمة الإسلامية، أن نكسر الطوق الذي يطوقها من كل جانب، لتستطيع كذلك أن تدفع هذا البلاء المصبوب عليها من كل حدب وصوب ، ولن تستطيع ذلك إلا بشيء واحد وحيد، هو اتباعها لكتاب الله عز وجل. هذا قدرها شاءت أم أبت.

رُفعت رايات، وربما تُرفع رايات ، ولكنها جميعا سقطت ،وحتما ستسقط ، ولن تبقى إلا راية واحدة وحيدة، هي راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺعلى مستوى الكون كله. قال الله جل وعلا ﴿ هُوَالَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾(سورة التوبة33)

وقال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي

مِنْهَا » صحيح مسلم، كتاب:الفتن وأشراط الساعة، رقم: 2889) كل الأرض زُوِيتْ وعُرِضتْ على رسول الله ﷺ وأخبرنا ـ وهو الصادق المصدوق ـ أن مُلْك أمته سيبلغ جميع المناطق التي زُوِيتْ له من الأرض، وهي كلها زويت له، وإذاً فحتماً سيصل الإسلام إلى الأرض كلها مالكا لها ، وليس ذلك عبر دعوة مغلوبة ضعيفة ، بل دعوة مالكة للأرض بعبارة الرسول ﷺ : « **وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**».

إن السيادة في الغد للإسلام ، شاء من شاء وأبى من أبى.

أيها الأحبة ، هذا الجو القرآني يجعلنا نقتبس حرارة من هذا الكتاب الحامل للخير، الحامل للبركة ، هذا الكتاب الذي به يمكن إعادة الأمة إلى التاريخ من جديد ، وبه ستعود إن شاء الله عز وجل من جديد ، لكن كيف ؟ هل فقط بوضعها هذا الكتاب على الرفوف، وتزيينها واجهاته بالذهب والفضة وبالزخارف؟ هل فقط بطبعها منه الملايين أوالملايير وتوزيعها مجانا ؟ هل هذا التناول لكتاب الله عز وجل ، وهذه الخدمة، وهذا الحمل لكتاب الله عز وجل، هو الحمل المطلوب الذي به يستطاع إعادة الأمة إلى التاريخ؟ إن طبع القرآن الكريم بالآلاف أو الملايين ليس شيئا قبيحا في حد ذاته ، ولكن إذا اقْتُصِر على ذلك وحده ، ولم يُؤْخَذ على منهاج رسول الله ﷺ وعلى منهاج السلف الصالح ، فإنه لا تنتظر النتائج التي يجب أن تنتظر منه .

طبيعة هذا القرآن

طبيعة هذا القرآن أولا أنه روح ، روح لها جميع خصائص الروح ، تنفخ في الفرد، وتنفخ في الجماعة ، وتنفخ في الأمة جمعاء ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (سورة الشورى 52)هو روح تفعل في الكائن المخاطَب جميع ما تفعل الروح ، وبه ينتقل الإنسان فعلا من الموت إلى الحياة ، كما ينتقل الإنسان بالروح من العدم إلى الوجود ، ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾(سورة الأنعام 123)من كان في الظلمات هو حي باصطلاح اللغة العادية ، ولكنه ميت باصطلاح القرآن ، **كم من الملايين التي تعيش الآن على وجه الأرض ، هم أموات باصطلاح القرآن ، إنما ينتقلون**

إلى الحياة باصطلاح القرآن إذا نُفِخَ فيهم الإيمان ، إذا نُفِخ فيهم روح القرآن،إذ الإيمان ولادة جديدة للإنسان ؛ فبهذا القرآن يصير الإنسان سميعا بصيرا مفكرا معبرا ، أما النوع الآخر الذي لم يشرح صدره للقرآن وبالقرآن، فإنه خَلْقٌ من نوع خَلْق جهنم ؛لهم قلوب لا يفقهون بها، لهم آذان لا يسمعون بها، لهم أعين لا يبصرون بها، الحواس العادية موجودة، لكن وظائفها الحقيقية غير موجودة؛فالحياة الحقيقية إذن غير موجودة .

إن جزئيات الأمة الآن مشتتة ممزقة متناثرة على وجه الكرة الأرضية ، من طنجة إلى جاكارتا، حسب تعبير مالك بن نبي رحمه الله . وهي قِطَعُ غِيار هذه الأمة التي اصطدمت بالتاريخ ؛ اصطدمت بفشلها ، اصطدمت بحقيقتها العارية ، ابتعدت عن الله عز وجل فتناثرت على وجه الكرة الأرضية.هذه الأمة إذا نفخ فيها روح القرآن، فإنها ستعود إلى الائتلاف بعد الاختلاف ، وتُرْحَم بفضل الله عز وجل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ (سورة هود الآية 118) تُرْحَم فيزول اختلافها ويتبدل ائتلافا، تُرْحَم فتتجمع أشلاؤها وتصير جسدا واحدا، تصبح له بحول الله وطوله جميع خصائص

الجسد التي أشار إليها الرسول ﷺ « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » (رواه مسلم حديث 4685).

ما المانع الآن من أن تظهر الولايات المتحدة الإسلامية ؟ ما المانع الآن من أن تظهر الأمة الإسلامية من أقصى الكرة الأرضية إلى أقصاها، من أقصى شرقها إلى أقصى غربها؟

المانع هوفقط عدم وجود روح القرآن في الأمة الإسلامية الآن، لقد حِيل بين الناس وبين القرآن منذ زمان أو أزمان، فإذا أُعيد القرآن إلى الأمة الآن، عادت إلى التاريخ من جديد ، وعادت لها وحدتها وعزتها، وعادت لها سيادتها على نفسها، وعادت لها قيادتها وريادتها للبشرية.

ثم إنه بمجرد نفخ هذه الروح وحلولها في الإنسان يحصل له خاصية أخرى بسبب هذا القرآن، إنهاتَنَوُّرُ هذا الإنسان ، لأن الله عز وجل يعبر عن كتابه بأنه نور ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ (المائدة الآية 17) ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ (الأعراف 157)

وبالنور ترى الأشياء على حقيقتها، وبالنور ترى الأشياء حسب أحجامها الطبيعية، وبالنور يزول الزيف ، وبالنور يظهر الحق حقا والباطل باطلا ، لذلك يقول الله تعالى : ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ (الإسراء 81)عندما يظهر النور، تلقائيا يختفي الظلام، الظلام لا يطرد بالسب ، ولا يطرد بالكاسحات ... إنما يطرد بإيقاد مصباح واحد ، وعلى قدر قوة المصباح "ينطرد" الظلام ،أي يطرد وحده،أو يزهق ــ بتعبير القرآن ــ، لكن يجب ظهور الحق ، إذ مجرد ظهوره -وهو نور- يطرد الظلام ، فلذلك ما اشتغل رسول الله ﷺ بالباطل في البدايات، وإنما اشتغل بالحق.

والأمة بمجرد عودتها إلى الحياة بالقرآن يحصل لها أيضا الرشد في السير ، يحصل لها الاتجاه إلى التي هي أقوم ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ (الإسراء 10) ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ (المائدة الآية :17) .

هذه الهداية تؤدي تلقائيا إلى خاصية أخرى هي أن من اهتدى صار بسبب ذلك خارجا من جميع الظلمات الفكرية ، والعملية، الفردية والجماعية ، خارجا من جميع الظلمات إلى الحقيقة الربانية التامة ، إلى النور. وما من وظيفة لكتاب الله عز وجل أكبر من وظيفة إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ولا يمكن إخراج الناس من الظلمات إلى النور إلا بهذا الكتاب، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ (المائدة الآية :17)، و إذا حصل ذلك، حصلت بركات أخرى، وخيرات أخرى هي من نتائج ذلك؛ حصل الشفاء ،وحصلت الرحمة، كما عبر الله عز وجل ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: 82)، وحصل وحصل...

لكن متى يمكن أن يُحدث القرآن ذلك في الإنسان ؟ إذا استجمع شروطا أربعة :

الشرط الأول : قراءة القرآن

ذلك بأن القرآن عبارة عن رسالة مرسلة من رب الكون، من رب العالمين سبحانه وتعالى، كرماً منه وتفضلا، رسالة هي محض رحمة ، عن طريق رسول شغْله هو هذا، لا شغل له غير هذا، شغله أن يبلغ هذه الرسالة، وقد بلغها ﷺ وأدى الأمانة، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده. هذه الرسالة المرسلة إلينا إذا لم نقرأها ،هل نعرف ما فيها ؟ وهل نستطيع تنفيذ ما تقتضيه دون أن نقرأها؟ إذن الشرط الأول هو أن يحدث لنا اتصال طبيعي بهذه الرسالة ، وهو القراءة ، وأحيانا يعبر عنه بالتلاوة؛حين يذكر القرآن منهاج رسول الله ﷺ في دعوته إلى ربه يعبر بالتلاوة :﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (الجمعة 2)، وأول ما كان يفعله ﷺ بالنسبة لمن يريد تبليغه هذه الرسالة: أن يتلو عليه بعضا من هذه الرسالة.

وكذلك إسماع القرآن : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ (التوبة:6)، إسماع العبد كلام الله، أي إحداث اتصال له بهذه الرسالة هو أول الأمر ، هو أول شرط يمكن أن يمر عبره الخير ، وهو بداية الخير. ومن ثم كان البدء برسول الله ﷺ من هذا ، فقيل له أول ما قيل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أول ما يجب حدوثه الإقراء ، أن يُقرأ الناس القرآن ، أن يَقرأ الفرد القرآن ليحدث هذا الاتصال، وإذا أراد تجاوز ذاته يُقرئ سواه القرآن ليحدث له الاتصال بذلك ، وحين يراد بالأمة جميعها الخير ،يجب تعميم قراءة القرآن عليها؛ فهو خطاب لكل فرد منها ، خطاب لها تابع لأصل الخطاب الأول ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وخطاب لها في ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (المزمل 17)،أو ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾؛ لكن هذه القراءة لتؤدي وظيفتها يجب أن تكون أيضا باسم الله، لا تكون قراءة بغير اسم الله، أي إنها بإذن من الله عز وجل، بإيمان برب هذا القرآن، بمُنزل هذا القرآن؛ لأنه إذا حدثت قراءة لم ينظر فيها إلى القرآن على أنه كلام الله ، ونظر إليه على أنه

كلام من الكلام ، أو أنه كلام محمد بن عبد الله ﷺ ،أو أنه كلام تناقلته العصور ، إذا قُرئ القرآن بهذا المعنى، أي مجردا عن صاحب القرآن ، عن مُنزل القرآن ، فإنه لا سبيل إلى أن تحدث تلك القراءة أثرها في القارئ ، إنما تحدث القراءة أثرها إذا كانت باسم الله ، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ .

ثم لهذه القراءة ظروف وشروط مذكورة في عدد من النصوص القرآنية و الحديثية ؛ فالقراءة يجب أن تبدأ بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل 98)، والاستعاذة بالله هي الالتجاء إلى الله والاحتماء به من شر الوسواس الخناس ، الاحتماء به من عدو لا يُرى ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف 26) وهو حقا عدو ،﴿إنَّ الشيطانَ لكم عدوٌّ فاتَّخِذوه عدوا﴾ (فاطر 6)، وهو جاثم على قلب ابن آدم إذا ذكر الله خنس وابتعد، وإذا غفل وسوس .ومعنى ذلك أنه حاضر باستمرار، جاهز باستمرار، عتيد باستمرار ، ينتظر الغفلة والفرصة المواتية ليلقي في قلب الإنسان ما يصرفه عن الله ، لأن

الله عز وجل خلق عباده حنفاء كما جاء في الحديث القدسي : « وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم» أي متجهين ومائلين إلى الله عز وجل، « **وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم** » (صحيح مسلم، كتاب:الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم:2865) أي ذهبت بهم وساقتهم فصرفتهم عن طريق الله عز وجل.

ثم ينبغي أن يكون العبد على طهارة ، والطهور شطر الإيمان ، لأنه حال تُحدث في العبد –بسبب تلك الأعمال الظاهرة التي تصحبها– حالاً قلبيةً باطنةً تجعل العبد متجها إلى ربه في لحظة التطهر،ولذلك يعتبر الطهورشطر الصلاة، إذ الإيمان من جملة ما يطلق عليه الصلاة كما في قوله تعالى : ﴿ وماكان اللهُ لِيُضِيعَ إيمانَكُمْ﴾ (البقرة 142،وهو إذا نظر إليه على أنه تخلٍّ عن جميع الأرجاس والأدناس القلبية واللسانية والجارحية، صار فعلا نصف الإيمان، وإذا نظر إلى الإيمان على أنه أعمال،فجميع التُّرُوك يقع التخلي عنها فيقع الانتهاء،ثم تأتي بعد ذلك الأفعال التي هي الشطر الثاني، فإذا صار العبد طاهرا فإنه يتأهل قلبيا لإمكان دخول نور الله عز وجل عن طريق

القراءة إلى قلبه،أي يتأهل لإمكان وصول الرحمة:﴿ وإذا قُرِئَ القرآنُ فاسْتَمِعُوا له وأنصِتُوا لعلكم تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف 204) هي رحمة تتنزل في القلب نتيجة القراءة المستوفية للشروط.

وهناك شروط أخرى تستفاد من عدة نصوص؛يعنينا منها أساسا أن أول اتصال يحدث للعبد بهذا الكتاب هو اتصال القراءة.

هذا الاتصال الأول يجب أن نعمل على حدوثه فينا،وعلى إحداثه في مجموع الأمة؛ هل القرآن الآن يقرأ في جميع المدارس، وفي جميع المراحل؟ القرآن ذكر:﴿ وقالوا يا أيها الذي نُزِّلَ عليه الذِّكْرُ﴾ (الحجر 6)،لأنه يحدث حال الذكر، أي حال عدم النسيان وعدم الغفلة عن الله، وهي الحال التي تنتج الطاعة،بعكس حال الغفلة التي تُحْضِر الشيطان فتنتج المعصية.

وبما أن القرآن ذِكْرٌ فيجب إذن أن يكون حاضرا باستمرار، في جميع مراحل التعليم ومستوياته إجباريا،مثل ذلك يقال عن الأجهزة التي تصب الأفكار والتوجيهات على عقول الناس كأجهزة الإعلام وأجهزة الثقافة التي تعمم على الناس معلومات معينة وتوجيهات معينة، كل هذه الأجهزة يجب أن تعمل على إقراء الناس

القرآن، لتحدث لهم الاتصال بهذا الهدى النازل من عند الله عز وجل، وإذا لم يحدث هذا فسيكون تقصير شديد، وتكون فتنة مثل الفتنة التي نحن فيها، والتي لا تحسدنا عليها أمة على وجه الأرض ، لابد من توبة نصوح على جميع المستويات لتوفير هذا الشرط.

الجهود الفردية -أو بتعبير اليوم الجهود الشعبية- ينبغي أن تدفع في اتجاه إقراء الناس القرآن، وذلك جهاد كما سماه الله عز وجل في كتابه: ﴿وجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادا كبيرا﴾ (الفرقان 52)، فمن يعمل على إقراء الناس القرآن، ويجاهد بماله من أجل ذلك، ويجاهد بوقته من أجل ذلك، ويجاهد بطاقاته من أجل ذلك، لا شك أنه بفضل الله عز وجل – إن أراد بذلك الآخرة وأراد رضى الله عز وجل– لا شك أنه مجاهد في الله، وفي ذات الله، وسيهديه الله عز وجل كما وعد المجاهدين: ﴿ والذين جَاهدوا فينا لَنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا ﴾ (العنكبوت 69).

والجهات الرسمية كذلك يجب أن تدفع في اتجاه إقراء الناس القرآن، ولديها القدرة على ذلك والإمكان، ينبغي أن تعلم القرآن في التعليم كله– وليس فقط بالنسبة للصغار – لأن القرآن ضروري للكبار قبل الصغار؛ الرسول ﷺ في الخطاب الأول كان يخاطب البالغين، كان يخاطب الكبار، لأنهم هم أساسا الذين يحاسبون على هذا القرآن، أما الصغار فإنما يخاطبون بالتبع، لأنهم تحت قوامة

الكبار، وتحت مسؤوليتهم؛ فإذا استجاب الكبار وقرأوا القرآن، أقرأوا الصغار.

ولذلك يجب أن يكون الحرص على إقراء الناشئة كلها القرآن أطفالا وتلاميذ وطلبة، في مجموع الأمة الآن، من أقصى الأرض إلى أقصاها، فهم غد الأمة المنتظر ورصيدها المدخر.

الشرط الثاني : فهم القرآن

ذلك بأننا قد نقرأ القرآن ولا نفهم ما يقول،بل قد نجد الحافظ للقرآن،يجمعه في صدره عن ظهر قلب،ولكن لا يفهم ما يقول، وبما أن القرآن رسالة، والرسالة من شأنها أن تحمل شيئا إلى المرسل إليه، وهي رسالة لجميع الناس ﴿وأُوحِيَ إلَيَّ هذا القرآنُ لِأُنذِرَكُم به ومَن بَلَغَ﴾(الأنعام 20) ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرْقانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيرا﴾(الفرقان 1). بما أن القرآن رسالة على هذه الصورة،فكيف يتصور تنفيذ ما في الرسالة دون فهم المراد من الرسالة، إذن لابد من قراءة الرسالة، ولابد من فهم الرسالة،وهنا يجب أن تبذل جهود في مجال مقام الرسالة ومقال الرسالة، لأنّ هذه الرسالة عبارة عن كلام، هو كلام الله تعالى، هي عبارة عن كتاب، وهذا الكتاب له مقال: له لفظ ينطق به، وله مقام لهذا اللفظ في مرحلة نزول هذا اللفظ، أي هو نص لغوي، له لفظ ومعنى، وله سياق يدخل فيه المخاطِب سبحانه وتعالى،من هو ؟

ويدخل فيه مَنْ نزل عليه الخطاب محمد صلى الله عليه وسلم من هو ؟ ويدخل فيه المخاطَب به لحظةَ الخطاب وبعد الخطاب واليوم،كل ذلك ــ ليُفهم المراد من الخطاب ــ لابد أن يُلم به، نعم ليس على درجة أهل الاختصاص،ولكن على درجة تسمح بفهم الخطاب.

وهنا تأتي أيضا لهذا الفهم شروط على رأسها إتقان العربية: أي إتقان اللسان الذي نزل به القرآن، إذا أتقنا الفرنسية ولم ندر شيئا عن العربية،هل نفهم القرآن بالفرنسية ؟ مستحيل،هذه أضحوكة الدنيا،هل نفهم القرآن بالإيطالية أو الإنجليزية... لا نحاول ذلك إلا إذا فقدنا عقولنا،نص بالإنجليزية مستحيل فهمه بغير الإنجليزية، هل ندرس نصوص شكسبير– على سبيل المثال – بالعربية ؟ ونحن نفهمها فقط بالعربية،فنقول قال شكسبير في روميو و جولييت... هذاكلام لا يعقل، وفساده من البدهيات،ولذلك يجب حمل النفس، وحمل الناس، وحمل جميع الأمة، على أن تذوق العربية،على أن تفقه العربية،على أن تتمكن من اللسان العربي، لا يكفي أن تحارب فيه الأمية، بل يجب أن تتفقه فيه وتتذوقه، أن تفقه أسراره، لأن أحسن صورة على الإطلاق تركبت فيها اللغة الأدبية والفنية

والجمالية هي صورة القرآن، إذ التحدي في القرآن للبشرية جمعاء: للعرب أولا، ولغيرهم تبعا لهم ثانيا، إنما كان بهذا الجانب البياني؛ فالعرب كانوا يفتخرون بأنهم أهل البيان، أهل البلاغة، أهل الجمال الفني اللغوي، فتحداهم الله، والله عز وجل يتحدى دائما، بِجْعل معجزات الرسل من جنس ما تتفاخر به أمم تلك الرسل، وتظن أنها برعت فيه، كحال موسى مع السحر، وكحال عيسى مع الطب... فالتحدي كان بهذا الجانب في القرآن، فكيف يعقل أن يذاق القرآن وأن تفقه أسراره، بغير تذوق العربية وفقه أسرارها؟

ثم إن القرآن نزل ليقوم الناس بالقسط، نزل ليفض النزاع، نزل ليجعل حياة الناس تسير وفق ما يسعدهم دنيا وأخرى، وما يحيط بالإنسان في هذه الحياة كثير منه ما يتعلق به، وما يتعلق بأسرته، وما يتعلق بمجتمعه والناس المحيطين به. والأمة الإسلامية اليوم حاجتها شديدة إلى أن تجيب عن عدد من الأسئلة، وتستجيب لعدد من التحديات، على مختلف المستويات، ولا يتيسر ذلك بغير أن تكون قادرة على التماس ذلك واستنباطه واستخلاصه من القرآن أولا، ثم من سنة رسول الله ﷺ ثانيا. الرصيد الفقهي ــ والرصيد العلمي جملة ــ الذي

ورثته الأمة عبر العصور، فيه حلول كثيرة لكثير من المشاكل والتحديات التي نعانيها اليوم، ولكن كل ذلك لا يكفي، قد يعين - وهو معين - إعانة كبيرة على حل بعض الأمور الحالية لكونها تشبه بعض الأمور الماضية، أو لكونها هي هي، أو يمكن أن تقاس عليها. ولكن كل ذلك لا يكفي، لابد من النظر في الأصل الذي فيه نظروا، ولابد من الشرب من الأصل الذي منه شربوا، فهم أجابوا عن التحديات التي كانت في زمانهم، أجابوا عن الأسئلة الحضارية والتاريخية والواقعية التي كانت في زمانهم، وذلك رصيد لنا، ولكن ما نابوا عنا، ولن ينوبوا عنا، لابد من ظهور ناس وخروجهم من صلب هذه الأمة الإسلامية، يستطيعون النظر في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسول الله؛ مزودين بلوازم هذا النظر، ومستجمعين لشروط هذا النظر، ليستخلصوا الأحكام المناسبة والحلول المناسبة، والإجابات المناسبة لزماننا هذا.

كيف يمكن أن يُخرجوا وأن يخرجوا إذا لم يتمكنوا من اللسان العربي، وكيف يمكن أن يُمكَّنوا من اللسان العربي، إذا لم توجد قاعدة كبيرة في الأمة يشيع فيها التمكن من اللسان

العربي؟ إذ العبقرية في أي مجال لا تظهر بالطفرة، ولا تظهر فجاءة، إنما الفجاءة في المعجزات، أما الظهور للعبقريات داخل التاريخ، فإنما يظهر نتيجة شروط في البيئة التي تظهر فيها العبقرية. ومن هذه الشروط أن يقع ارتفاع في الوعي الذي تبرز فيه تلك العبقرية. إذا لم يقع هذا الارتفاع في تلك البيئة، فإنه لا تظهر تلك العبقرية، وستظل هي أيضا مشدودة إلى المستوى الذي تنتمي إليه. ولذلك قد تكون هناك عقول جبارة، وعبقريات كبيرة جدا في الأمة الآن، لكن عيبها كما قال ابن حزم :

أنا الشمس في جوِّ العلم منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

الغرب إذ ذاك، لا الغرب اليوم، فكم من الناس اليوم صغار في المستوى، ولأنهم طلعت شموسهم في الغرب رآهم الناس، وكم من العباقرة داخل الأمة، لكن لأنهم ما طلعت شمسهم في باريس أو في لندن... أو في نيويورك أو في واشنطن... لم يرهم الناس، بمعنى أن ظروفهم المحلية، منعتهم من أن يصلوا إلى ما يمكن أن يصلوا إليه، لو وُجدوا في ظروف مخالفة مواتية، أي بيئة ومناخ ثقافي يسمح بظهور العبقرية. وهذا سبب من أسباب ما يسمى بظاهرة هجرة الأدمغة من العالم

الإسلامي، إذ توجد أدمغة وعبقريات لا توجد لديها حصانة إيمانية، تربطها ببيئتها وتمنعها من الهجرة، فعندما تجد المناخ غير مُوَاتٍ لا تستطيع العيش فترحل، وتبقى أدمغة وعبقريات أخرى بالسبب الإيماني فقط، تبقى جهادا في البيئة من أجل إعداد البيئة.

أقول إننا إذا أردنا، نحن المسلمين من طنجة إلى جاكارتا، أن نستجيب فعلا للتحديات الحاضرة، على مستوى ما يسمى اليوم بالشعوب، وما يسمى بالحكومات، إذا أردنا الاستجابة للتحديات الحاضرة الواقعية استجابة طبيعية غير مقطوعة عن تاريخنا، استجابة ذاتية منطلقة من الذات، أي استجابة نابعة من طبيعة هذه الأمة التي هي الأمة الإسلامية، إذا أردنا هذا، لابد أن نحقق شروط الفهم التي منها تعليم العربية وتعميم العربية، وتمكين طبقة كبيرة من الناس من التفقه في العربية. هل يعني هذا أن نمنع الناس من أن يتعلموا اللغات الأخرى؟ كلا ثم كلا، يا ليتنا نجد من يستطيعون التفقه في كل اللغات !وبكثرة كاثرة !

الأمر ببساطة هو :العربية أولا، ثم اللغة التي تنفع المسلمين نفعا أعظم ثانيا، ثم اللغة التي تليها... وهكذا. فكل لسان بإنسان، وزماننا هذا فعلا زمان

اللغات، فينبغي تعلم اللغات وتعليم اللغات، ولكن بعد تعلم لغة اللغات، بعد تعلم لغة القرآن، بعد تعلم لغة الجنة، بعد تعلم اللغة العربية، لأننا بغير العربية لا نفقه القرآن، والحرب للعربية إنما هي حرب للقرآن والسنة، وإنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف:2)؛ وما يسمى بالاستعمار- وما هو باستعمار، لأن تسميته هذه من قبيل كيده ومكره، هو لا يعمر ولا يطلب عمارة، وإنما يطلب خرابا، هو يعمر بلده، يعمر أهله، يعمر بيته ويخرب بيوت الناس- هذا الاحتلال عمل أولا على الحيلولة بين الأمة وبين القرآن والسنة، وظل يعمل، وما زال يعمل، للحيلولة بينها وبين لغة القرآن، فكأنه الآن في خط الدفاع الثالث يحطمه ويكسره، كسر خط الدفاع الأول وهو القرآن، حال بين الأمة وبين أن يقوم تعليمها في جميع المراحل على القرآن، وأن تقوم ثقافتها أساسا على القرآن، حال بينها وبين أن تقرأ السنة في جميع مراحل التعليم، وأن تقوم ثقافتها أساسا على السنة، وهو يحول بينها الآن وبين أن تتعلم اللغة التي بها تفقه القرآن. **إن العربية مدخل للقرآن، فإذا حيل بين الناس وبين العربية التي هي الطريق إلى للقرآن، فلا داعي لأِن تحدثهم بعد ذلك عن القرآن، إذ لا سبيل لهم إلى فهم القرآن، وسيظلون عالة على من سواهم ممن يترجم لهم ما فهم من القرآن؛** ولا يظنن ظان ويحتجَّنَّ محتج بأن بعض الناس يكون إيمانهم قويا وهم لا يعرفون العربية؛ يعرفون الأردية أو الفرنسية... أو غير ذلك، بواسطة ذلك يستطيعون معرفة القرآن، نقول هذا صحيح، ولكنهم عالة فيما يعلمون على من ترجم لهم ذلك إلى تلك اللغة، أو من حدثهم عن الإسلام بتلك اللغة، هم لم يعرفوا كلام الله مباشرة وما اتصلوا به، لا يعرفون سنة رسول الله ﷺ مباشرة و ما اتصلوا بها، وإنما السنة محمد صلى الله عليه وسلم ، **فمن أراد أن يتصل بمحمد ﷺ فليتصل بالسنة، ومن أراد أن يتصل بالله عز وجل فليتصل بكلامه القرآن،** ثم إن الذين اتصلوا فقط بواسطة حدثتهم بلغتهم عن الله عز وجل وعن رسول الله ﷺ لابد أن تكون واسطتهم عالمة بلغة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وإلا ما استطاعت الفهم الصحيح ولا النقل الصحيح. فالمرجع دائما إلى إتقان العربية.

إن المسلم الفرد عليه أن يهتم بالعربية، وأن يحارب في نفسه الأميّة العربية ليستطيع قراءة كتاب الله عز وجل.

و إن الأسر عليها أن تتعاون على هذا الخير.

والناس عموما عليهم أن يتعاونوا على هذا الخير، ويجاهدوا به ومن أجله.

والجهات الرسمية كذلك عليها أن تجعل هذا الأمر واقعا في الناشئة، في التعليم وفي الإعلام، ذلك الإعلام الذي لا يخضع لرقابة لغوية، بسبب الواقع اللغوي الآن في الأمة الذي أفسدته الترجمة عن الأجنبي، وأفسدته جهات تنقل الفكر الدخاني إلى هذه الأمة، الفكر الذي يخلط النبع الصافي بالدَخن، هؤلاء النَقَلَة لا يحسنون عربية القرآن، فأفسدوا اللغة، وأفسدوا الإعلام أيضا، ويجب الآن تصحيح الوضع حتى في اللغة ليفهم القرآن، ولا يحال بين الأمة والقرآن.

فهذا من شروط فهم القرآن، ولا ينبغي أن يكون فيه تقصير، وكل تقصير فيه هو تقصير في فهم الرسالة، وتقصير في فهم القرآن، ومنع للناس وصدهم عن سبيل الله عز وجل، والمطلوب الآن دفع الناس لقراءة القرآن ودفع الناس للعمل بالقرآن، ودفع للناس للاتصال بالله عز وجل وبرسول الله ﷺ، ودائما يأتي في المقام الأول التعليم والإعلام، فهما الجهتان الأساسيتان المؤثرتان حقيقة في صياغة الإنسان .

الشرط الثالث : الإيمان بالقرآن

وهو شرط لا بد منه أيضا للانتفاع بالقرآن. ولنفترض أن مستشرقا عرف العربية، وقرأ الكتاب، واجتهد في أن يعرف عن طريق العربية ما المطلوب بهذا الكتاب، ولكنه كافر بالله عز وجل. هل هذا عمليا سيستفيد من القرآن؟ وهل سينتفع بالقرآن؟ وهل سيحصل له ما تحدثنا عنه في البداية أنه من خواص القرآن، كلا ثم كلا، ولذلك قال الله عز وجل:

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت 43)، إذا لم يكن إيمان بهذا القرآن، فإن القرآن بدل أن يكون سببا في بصر الشخص ورؤيته، يصبح سببا في عماه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ لا يستطيعون أن يهتدوا بهذا القرآن، لا تحصل لهم الهداية به، لا يحصل لهم التنور به، لا يحصل لهم الخروج من الظلمات إلى النور به، لا يحصل لهم الشفاء القلبي والقالبي من جميع الشبهات

والشهوات به،لا تحصل لهم الرحمة به. كل خواص القرآن، وكل وظائف القرآن، لا تتحقق في هؤلاء الذين لا يومنون بالقرآن،حتى ولو قرأوا ألفاظه،ولنفترض أنهم فهموا، -بسبب علمهم بالعربية- معانيه؛ ذلك بأنهم يعلمون ظاهرا من القول،لا يستطيعون فهم أسرار القرآن ومقاصد القرآن ،لأن ذلك مقصور على من تطهَّر بالقرآن،وعلى من حيِيَ بالقرآن، وهم أموات غير أحياء﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾ (الأنعام 126)، إذا لم يُشرح صدره للإسلام ،لا تحصل له الهداية، فإذا شُرح صدره للإسلام وآمن، إذ ذاك ينتفع بالقرآن.

في حديث الغيث: « حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ قَالَ إِسْحَاقُ وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيَّلَتِ الْمَاءَ قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ » (رواه البخاري، كتاب العلم، رقم:79 – و روى نحوه مسلم في كتاب الفضائل حديث 2282).

الهدى الذي جاء به رسول اللهﷺ هو القرآن، والعلم الذي بعث به رسول اللهﷺ هو القرآن،ومَثَلُه في علاقته بمن يتجه إليهم من المخاطَبين مَثَلُ غيث. والغيث رحمة، حتى قال بعض العلماء: إن الغيث في القرآن لا يأتي باطراد إلا في مقام الرحمة، والمطر يكاد لا يأتي إلا في مقام النقمة: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ (الشعراء 173)، بينما الغيث﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ (الشورى 26) وهذا التشبيه مقصود؛كما يترل الغيث على الأرض فيحدث الإنبات﴿ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج 5)؛ فكذلك القلب

البشري، عندما ينزل فيه ماء القرآن، يزكو، ويهتز، فيربو، ثم يخرج من كل زوج بهيج ، عن طريق السمع والبصر واللسان واليد والدماغ... يقول رسول الله ﷺ : « **مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا** » (رواه البخاري ومسلم) —لأنه يقصد جميع المخاطَبين— فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير: هذه الأرض منها طائفة ممتازة لها استعداد، لكن فيم تتجلى هذه الطيبوبة؟ في أنها قبلت الماء، وهذا هو الإيمان الذي نتحدث عنه، الكافر لم يقبل الماء رفض هذا الماء، لم يسمح له بالوصول إلى قلبه، لم يسمح بوصول النور إلى قلبه، فظل مظلما ظالما و: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان 12)، "قبلت الماء" النتيجة " فأنبتت الكلأ "، ثم «**طائفة إنما هي أجاذب أمسكت الماء فسقى الله بها الناس وشربوا وزرعوا... وكانت طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً**».

يعنينا من هذا الحديث القبول وعدم القبول، فالذي قبل هذا الماء الرباني الذي هو القرآن، فإنه يحدث فيه آثارا مباركة، ينتفع هو وينفع الناس، والذين لم يقبلوا هذا الهدى

البتَّة، شبههم الرسول ﷺ بالقيعان، لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، كتلك المناطق التي ينزل فيها الماء ولا يستقر، فلا تنبت شيئا، هذه طائفة الكفر الصراح القائم على الجحود والظلم العظيم الذي ينكر صاحبه أن يكون لهذا الكون رب سبحانه وتعالى، مثل هذا لن يهتدي أبدا، ولن تحصل فيه خصائص القرآن، ولذلك لا يُتلقَّى من أمثال هؤلاء فَهْم، لأنه لا نور لهم، ولا هداية لهم.

بناء على هذا، هل تنتظر هداية، أوتقتبس هداية من هدى الله، من كتاب الله، من باحث كافر من المستشرقين، أو ملحد من المستغربين ؟. ليشرحْ مَا شَرَحَ من كتاب الله، فهو مصدود، ومحال بينه وبين كتاب الله، هو في عمى، فكيف يستطيع رؤية الطريق؟ الأعمى في حاجة لمن يقوده، لا أن يقود هو غيره.

إن كثيرا من الناس يأتون ليقولوا إن فلانا أو فلانا من الكفرة الفجرة يقول في كلام الله عز وجل؛ في الآية الفلانية أو السورة الفلانية، فهل يؤخذ العلم عن أمثال هذه النماذج البشرية ؟ كلا ثم كلا ، هؤلاء عُمْيٌ لا يرون، ولا يؤخذ العلم إلامن المبصرين، إلا من الأحياء، هؤلاء أموات لم يشرح صدرهم

للإسلام، هؤلاء ما صدقت عليهم الآية بعد: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (الأنعام)، هؤلاء ليسوا من العلماء الذين يؤخذ عنهم القرآن ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر 28)، العلماء بالله أولا، لأن أول معلومة يجب أن يعلمها العقل البشري والقلب البشري هي الله عز وجل، وهي أظهر حقيقة، وأكبر حقيقة، فحين لا يرون ولا يعلمون حتى هذه المعلومة البسيطة الظاهرة الجلية في كل شيء:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

حين يعطلون ما آتاهم الله من نعم، نعمة العقل التي تقول لهم ببساطة : مستحيل أن يوجد هذا القلم وحده، أو هذا الحذاء وحده، ومع ذلك يقولون : هذه الأرض وهذه المجرة، بل هذا الكون كله الذي لا حد له كان صدفة، يا سبحان الله !! ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾. (الطور: 35).

حين لا يستطيعون رؤية حتى هذه الحقيقة الصارخة، فكيف يُؤخذ عنهم العلم، كيف يُسمون علماء ؟ ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر: 64).

إذا لم يكن إيمان بما في هذا القرآن، فلا سبيل إلى الانتفاع بهذا القرآن، لا دنيا ولا أخرى. وإذا لم يكن الإيمان الآن واقعا في الأمة، فكيف تنتفع بكتاب ربها، كيف يحصل لها ما وعدها ربها، لا سبيل إلى أن يحصل لها شيء من ذلك : لا سبيل إلى أن تهتدي، لا سبيل إلى أن تتنور، لا سبيل إلى أن تخرج من الظلمات إلى النور، لا سبيل إلى أن تُهدى سُبُلَ السلام، لا سبيل إلى أن تُشفى من أمراضها وأن تُرحم... لا سبيل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾

(الحديد: 27).

الشرط الرابع : الاتباع للقرآن

أو شرط العمل بالقرآن، ذلك أن القرآن هداية، هداية إلى الصراط المستقيم، فإذا لم يقع اتباع لهذا الصراط الذي دل عليه القرآن، فهل يُتصور الوصول إلى النتائج التي وعد بها الله عز وجل في القرآن ؟ لا يتصور أبداً، هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، فإذا لم يقع الاتباع فلا يمكن أن يقع الوصول، ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ (المائدة 16) هل هو يهدي الجميع؟ كلا، هل يهدي كل متبع، ولو لم يتبع أحسن ما فيه، واتبع أسوأ ما فيه؟ كلا ثم كلا، إنما يهدي ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ (الزمر 16) ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾، إذ القرآن فيه ما يرشد إلى ما فيه الرضى، وفيه ما ينفّر ويصرف عما فيه الغضب، فمن اتبع طريق المغضوب عليهم، وقد تحدث عنهم القرآن، لا شك أنه سيصل إلى نتائج الغضب، فالذي يجب

اتباعه هو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾ (الأنعام:90)، فالله عز وجل يقول: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ (الأنعام)، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام:155)، الرحمة موعود بها أن تحصل، والرحمة رأس الخير كله، إذا غشيت العبد فقد تأهل للجنة، ولا يدخل العبد في الرحمة إلا إذا كان من الصالحين، ولا يكون العبد من الصالحين حتى يؤمن ويعمل الصالحات، ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنبياء)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت:9)، فهؤلاء هم الموعودون ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء:105)، هؤلاء الذين أدخلوا في رحمة الله لم يدخلوا إلا بعد أن آمنوا

وعملوا الصالحات، وهم مرحمون في الدنيا والآخرة، وهذه درجة علية طلبها سيدنا موسى له ولأخيه هارون عليهما السلام: ﴿ رَبِّ اغْفِرْلِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾ (الأعراف: 151)، نسأل الله عز وجل أن يدخلنا في رحمته برحمته، وقد قال رسول الله ﷺ : « **لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته** ». فهذه الرحمة يشير إليها القرآن بقوله: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأنعام 156) أي لتحصل لكم بسبب اتباعكم وتقواكم حال الرحمة، تلك الرحمة التي ينتج عنها الائتلاف بدل الاختلاف، والتي تسبب نزول السكينة بدل القلق، والتي تسبب حفوف الملائكة بدل الشياطين، والتي تسبب ذكر الله في الملأ الأعلى بدل الملأ الأدنى.

إذن فالانتفاع بالقرآن، سواء بالنسبة للفرد، أو بالنسبة للأسرة، أو بالنسبة للجماعة، أو بالنسبة للأمة الإسلامية أو بالنسبة للبشر كلهم، لا يمكن أن يَحدث ولا أن يُحدث هذه الرحمة إلا إذا حصلت القراءة للقرآن، وحصل الفهم للقرآن، وحصل الإيمان بالقرآن، وحصل الاتباع للصراط المستقيم الذي أوضحه القرآن، وبينه القرآن.

وهذه الأمة موعودة بالرحمة إذا استجمعت هذه الشروط، وموعودة بالغضب إذا لم تستجمعها، والذين باءوا بغضب من الله، وهم المغضوب عليهم، سببهم أساسا أنهم جاءهم الحق من عند الله عز وجل، ويعلمون أنه الحق، ومع ذلك أعرضوا عنه ونبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبيس ما يشترون.

خاتمة

أيها الأحبة، نصحا لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، نقول :

إنه يجب وجوبا عينيا على الأفراد، وعلى الأسر، وعلى الشعوب، وعلى الحكومات، في هذه الأمة الإسلامية.

أن يتوبوا إلى الله عز وجل فيعمموا قراءة القرآن، ويجاهدوا بكل ما آتاهم الله عز وجل ليصير ذلك واقعا.

وأن يجاهدوا جميعا لجعل هذا القرآن مفهوما، ويوفروا كل الشروط اللازمة لفهمه، ولا سيما للجيل الصاعد الذي سيخلفنا، وسيواجه ما هو أدهى مما نواجه.

ويجاهدوا لجعل هذا الجيل الصاعد نابتا في الإيمان بإنزال ماء القرآن عليه حتى يرتوي.

ويجاهدوا لجعل أنفسهم، وجعل كل من حولهم، متبعين للقرآن، فلا يصدر عنهم شيء إلا وهو موزون بالقرآن؛ التفكير يوزن بالقرآن، والتعبير يوزن بالقرآن، والأعمال توزن بالقرآن، والمشاريع توزن بالقرآن، والمؤسسات تؤسس على أساس القرآن.

هذا هو الأصل، وهذا هو المطلوب، وهذا هو الواجب، وإلا تَفعلْه الأمة، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، أكبر مما نحن فيه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله.

فهرس الرسالة

تقديم ....

مقدمة 5

عظم شأن القرآن 7

طبيعة هذا القرآن 12

الشرط الأول : قراءة القرآن 17

الشرط الثاني : فهم القرآن 24

الشرط الثالث : الإيمان بالقرآن 33

الشرط الرابع : الاتباع للقرآن 40

خاتمة 44

صدر من هذه السلسلة

۞ القرآن الكريم طبيعته ووظيفته :

د. الشاهد البوشيخي.

۞ القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية :

د. الشاهد البوشيخي.

وسيصدر

۞ تكريم الإنسان في القرآن الكريم :

د. الشاهد البوشيخي.